أثر الشريعة في معالجة الأمراض النفسية - الوسوسة أنموذجًا

م .د سلام باقر كاظم

جامعة القادسية / كلية التربية

Salam.Baqir@qu.edu.iq

الخلاصة

من منطلق مبدأ شمولية الاسلام الحنيف تفرع هذا البحث لينظر الى تأثير الشريعة الاسلامية بأدلتها المعروفة بمداخلات النفس البشرية واضطراباتها النفسية ليضع الخطوات الناجعة لمرض مستشري الا وهو الوسوسة ، لذا فان هذا البحث يمر بمصادر التشريع الاساسية مبتدأ بالقران الكريم والآيات التي تناولت مصطلح الوسوسة ثم يعرج الى السنة المشرفة وبعض الاحاديث الواردة في هذا الاطار ثم الى القواعد الفقهية التي تناولت شتى ابواب الفقه الاسلامي للاستدلال من خلالها على المواضع الجوهرية لعلاج هذا المرض ، فيكون تقسيم البحث الى ثلاث مباحث : تضمن المبحث الاول تعريف الوسوسة ونظرة عامة حولها وانواعها ، والمبحث الثاني : نظرة الاسلام للوسوسة وعلاجها وفقا لأدلة التشريع ، ثم ينتقل الباحث الى اهم القواعد الفقهية ومعالجة الوسواس عمليا . راجيا من الله تعالى التوفيق والسداد .

Abstract

Based on the principle of the comprehensiveness of true Islam, this research branched out to look at the influence of Islamic law with its evidence known as the interventions of the human psyche and its psychological disorders, to put in place the effective steps for a widespread disease, which is waswasah. The supervisor and some of the hadiths contained in this framework, then to the jurisprudential rules that dealt with the various chapters of Islamic jurisprudence in order to infer through them the essential points for the treatment of this disease. And treat it according to the evidence of legislation, then the researcher moves to the most important jurisprudential rules and treatment of obsessive in practice. I hope that God Almighty grants success and reimbursement .

المقدمة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على نبي الله خاتم المرسلين محمد المصطفى وعلى آله الطيبين الطاهرين ..

وبعـدُ ..

إن الاسلام الحنيف جاء كمنظومة متكاملة تحيط بجميع مناحي الحياة ، ومن اهمها تلك التي تتعلق بالإنسان وطبيعته المتغيرة وأحواله المتعددة ، لاسيما في زماننا الحاضر الذي زادت فيه مظاهر الحداثة وأخذت بالتطور المتسارع بحيث تتوالى الاكتشافات العلمية يوما بعد يوم ، وفي مقابل ذلك زادت معه الامراض المتعلقة بالنفس والتي أثرت سلبا على ممارسة الحياة العامة لدى مجموعة كبيرة من الافراد في مجتمعنا ، ومن أهم تلك الممارسات هي تلك التي تتعلق بالعبادة التي تمثل صلة الانسان بخالقه .

من أهم الامراض النفسية التي أخذت بالانتشار بين أفراد المجتمع هو مرض الوسوسة التي تجعل الشخص المصاب بها يعيش دوامة إثبات الذات والانتصار على خيوط العنكبوت المتداخلة في النفس التي لها معطيات سلبية على حياته ، لذا فأن هذا البحث ينزع الى الاجابة على الاسئلة الاتية :

هل أن الشريعة تناولت في منظومتها المتكاملة هذا المرض الذي يتعلق بحياة الإنسان وبجميع مناحيها ؟، كيف عالجت مصادر التشريع الاسلامي هذه الحيثية النفسية المهمة ؟ ما هو التكييف الفقهي لتلك الحالة إذا ما حصلت بالوظيفة العملية للشخص وماهي أبرز التطبيقات في المعالجة ؟

لذا فان أهمية هذا البحث من الاهمية بمكان لما له من دور عملي تطبيقي في بعض مباحثه لاسيما في العبادات الواجبة ، ومن ذلك تتضح هدفية طيات هذا البحث في محاولة معرفة التكييفات الفقهية والحلول الناجعة لبعض الحالات التي تكثر في مجتمعنا المعاصر ، ولعل من أبرز الاسباب التي دعتني الى كتابة هذا البحث هي كثرة تلك الحالات في الوسوسة ومحاولة تبصرة من يصاب بها على ضوء الشريعة السمحاء وبما جاءت به من تحليلات لهذه الحالة لتكشف عظمة التشريع وتفاعله المؤثر على مر الازمان وتقادم الايام .

ووفقا لتلك المعطيات قسم الباحث هذه الوريقات الى مقدمة وثلاث مباحث متفرعة الى مطالب تناول في المبحث الاول تعريف الوسوسة وانواعها ونظرة عامة حولها من ناحية علماء النفس ، ثم في المبحث الثاني تناول الوسوسة في القران الكريم وأبرز المعالجات القرآنية على ضوء كلمات المفسرين ، ثم المبحث الثالث والذي سيكون فيه السنة المطهرة من الاحاديث والروايات التي تناولت هذا المرض النفسي ومن ثم بعض التطبيقات الفقهية الكثيرة البلوى التي يتعرض لها الشخص . راجيا من الله تعالى السداد والرشاد لهداية العباد والتوفيق لما فيه التحقيق .

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الامين واله الطاهرين

المبحث الاول : تعريف الوسوسة ونظرة عامة حولها وأنواعها

المطلب الاول : تعريف الوسوسة :

أولا : الوسوسة لغة .

ذكر ابن فارس بانها : (مصدر قولهم: وسوس يُوَسوِس مأخوذ من مادة (و.س.س) التي تدل على صوت غير رفيع: يُقال لصوت الحُلي: وسواسٌ، وهمس الصائد: وسواسٌ، وإغواء الشيطان ابن آدم وسواس)[١] ، وورد أيضا بأن الوسوسة هي حديث النفس يقال وسوست اليه نفسهُ وسوسة ، ووسواسا بكسر الواو ، والوسواس بالفتح : الاسم وفلان موسوس بالكسر وهو الذي تعتريه الوسوسة[٢] ، ويمكن ان يقال بأن علماء اللغة قد أجمعوا على أن (الوسواس: الصوت الخفي من ريح. والوسواس: صوت الحلي، وقد وسوس وسوسة ووسواسا، بالكسر. والوسوسة والوسواس : حديث النفس) [٣]

ثانيا : الوسوسة اصطلاحا .

هي الأفكار والصور والدوافع الغريزية التي قد تحدث بشكل متكرر وهي خارجة عن الإرادة ، وعادة لا يريد الشخص أن يفكر بهذه الأفكار ويجدها مضايقة له ويجد نفسه مرغمًا عليها ويحس عادة بأن هذه الأفكار لا معنى لها في الحقيقة ويتميز بوجود إندفاعات أو دوافع حركية متكررة وخاطئة مثل غسل اليدين عشرات المرات وغيرها[٤] وقد تعرف الوسوسة أو الوسواس بانها: (ورود أفكار وخواطر على ذهن الانسان رغما عنه مع علمه بأن تلك الافكار ليست منطقية إلا انها تستمر في غزو ذهنه ، مما يسبب الانزعاج الشديد)[٥] . إن النظريات المركزية بشأن العوامل المسببة المحتملة لاضطراب الوسواس القهري متفاوتة ومختلفة فربما تكون عوامل بيولوجية نتيجة لتغير كيميائي يحصل في جسم الشخص المصاب، أو في أداء دماغه، ويعتقد بعض الباحثين بأن اضطراب الوسواس القهري ينتج عن عادات وتصرّفات مكتسبة مع الوقت بما يسمى عامل البيئة [٦]

المطلب الثاني : نظرة عامة حول الوسوسة وأنواعها

يُعد اضطراب الوسوسة من أكثر الاضطرابات النفسية انتشارا ، حيث يُعد المرض الرابع الاكثر تشخيصا في العالم ، وتعددت نتائج الدراسات والبحوث التي تناولت معدل انتشار اضطراب الوساوس القهرية إذ قُدرت بنسب مرتفعة ، حيث يقدر ان كل (١٠٠) راشد يظهر عليهم أعراض للوسوسة. [٧]

إن وساوس النظافة والاغتسال والمراجعة من أكثر أنواع الاضطراب انتشارا بين المرضى حيث بينت دراسة أن وسواس النظافة توجد لدى ٧٥ % من جمهور المرضى الذين عولجوا في العالم ، يضيف كابلن وسادوك أن الذكور أكثر عرضة للإصابة بالاضطراب عن الاناث متوسط عمري (١٩) عام ، والاناث متوسط عمري (٢٢) عام وحوالي (٣/٢) من مرضى الوسوسة بدأت أعراضهم قبل سن ٢٥ عاما وأقل من (١٥%) تبدأ اعراضهم بعد سن(٣٥)عاما. [٨]

تعتبر الوسوسة مرضا سلوكيا ، ويتميز هذا الاضطراب برغبة قوية من الشخص للسيطرة على دوافعه وأفعاله ، وكذلك وجود أفكار مكررة ، لا يرغبها الشخص ، وتأتي رغما عنه ، حتى بعد محاولته إبعادها

والتخلص منها ، ويعلم الشخص أن هذه الأفكار هي أفكاره ويقوم الشخص المصاب بهذا المرض بعمل أفعال قهرية لا يستطيع الامتناع عنها نظرا لأن هذه الأفعال تخفف قلقة . [٩]

إن الوسواس القهري هو نوع من أنواع التفكير غير المعقول وغير المفيد - الذي يلازم المريض دائما ويحتل جزءا من الوعي والشعور مع اقتناع المريض بسخافة هذا التفكير مثل تكرار وترديد جمل نابية أو كلمات كفر في ذهن المريض أو تكرار نغمة موسيقية أو أغنية تظل تلاحقه وتقطع عليه تفكيره بما يتعب المصاب ، عندئذ يقوم الأطباء بتشخيص الحالة على أنها حالة مرض الوسواس القهري ففي مرض الوسواس القهري ، يبدو وكأن العقل قد التصق بفكرة معينة أو دافع ما وأن العقل لا يريد أن يترك هذه الفكرة أو هذا الدافع .

يمكن أن يُقسم مرض الوسوسة أو ما يسمى الوسواس القهري الى عدة أنواع من حيث مؤداها او مضمونها الى : [١٠]

أولا- الشكوك : يكون هذا النوع من الوسواس عند الفرد حينما يعتقد بأن أي مهمة يقوم بها لا تتم على وجه صحيح، فلا يكون راض عن أداءه فيضطر قهرا لمحاولة إعادتها مرار وهو ما يحصل غالبا في جانب عبادة الانسان كالصلاة .

ثانيا - الافكار : وهذه الوسوسة تكون سلسلة من الأفكار الإجترارية المتصلة و تتصل أحدها على الأقل بأحداث مستقبلية .

ثالثا – الاندفاعات القهرية : و فيها يكون لدى الفرد مطالب قوية تحملهُ على القيام بسلوكيات قد تكون تافهة بشكل هجومي وغير متحكم بها و تكون لديه رغبة جامحة أو قوية و اندفاع للقيام بأعمال لا يرضى عنها ويحاول مقاومتها .

رابعا - المخاوف : الخوف من فقدان التحكم ، و التصرف بشكل محرج في موقف اجتماعي (كالخوف من الضحك في جنازة) .

خامسا - تعلق الصور : و هي تعلق الصور واستمرار وجودها بكيفية سلبية والتي رآها الإنسان سابقا وتكون حاضرة دائما في مخيلته .

وبحسب هذه الانواع تنقسم الوساوس القهرية أصناف وفئات معينة من حيث من يقوم بها وهي:

أولا - صنف هوس الاغتسال والنظافة :

هذه الفئة لديهم هوس التلوث والقذارة ، (و هي أكثر أنواع الأفعال القهرية انتشارا حيث يوسوس الفرد حول أمور تتعلق بالتلوث من الجراثيم أو النفايات ، أو القذارة أو البول أو الغائط، أو جميعها و غيرها مما يؤدي لقيامهم بطقوس النظافة و الاغتسال بشكل مستمر و متكرر ، كغسل اليد بشكل مفرط قد يصل إلي (٥٠) مرة يوميا أو الاستحمام (٤) مرات يوميا أو أكثر).[١١]

ثانيا - صنف المراجعة المفرطة :

ويكون هذا النوع لدى الأفراد اللذين يقومون بطقوس المراجعة حول عدم إتمامهم للعمل على أكمل وجه ، حيث يقومون بمراجعة الأعمال التي أدوها ، و يصابون بالقلق إذا لم يفعلوا ذلك ، فهم يقومون عدة مرات بالمراجعة مثلا لغلق الأبواب والنوافذ أو الأجهزة الكهربائية أو قد يكررون التأكد من وضع الأشياء في أماكنها أو قد يفتحون الرسائل عدة مرات للتأكد من أنهم قد وضعوها في الظرف و عادة ما يقومون بهذه الطقوس لمنع حدوث أي نكبات أو أذى قد يلحق بهم أو بالآخرين ، و ترتبط هذه الأفكار القهرية بشكل مباشر بوساوس الخوف لديهم فالأفراد الذين يتأكدون عدة مرات من غلق أنابيب الغاز يخافون من حدوث حريق و قد ترجع بداية طقوس المراجعة بشكل تدريجي إلى التنشئة الاجتماعية حيث تلعب دورا بارزا في تطور هذا الاضطراب ، على عكس الأفراد الذين لديهم طقوس النظافة فقد يبدأ المرض لديهم فجأة أو من خلال تأثر بموقف معين. [١٢]

ثالثا – صنف وسوسة الأفكار و الأفعال القهرية المقنعة :

توجد فرضية عامة مفادها (السلوك القهري مكشوف و حركي ، بينما الوساوس مقنعة وإدراكية)[١٣] غير أن بعض الدراسات ذكرت أن هذا الافتراض غير صحيح لأن الأفعال القهرية قد تأخذ أحيانا شكل السلوك المقنع ، و لهذا السبب فإنه يبدو من المفيد الابتعاد عن التمييز القائم على نوع الوسائط بين الوساوس و الأفعال القهرية و التوجه إلى منحى وظيفي غير محدد تكون فيه الأفعال نشاط ينتج عن الإلحاح القهري ، و يخدم الوظيفة النفسية ذاتها سواء كان مقنعا أو مكشوفا فعدم الراحة يكون نتيجة لوساوس سابقة ، فنرى مثلا الشخص الذي يوسوس (بأن الله غير موجود - مثلا -) يعقبها مثلا بأن يقوم بالصمت أو ترديد بعض الأدعية المحددة (سلوك قهري مقنع) ليتخلص من الشعور بعدم الراحة .[١٤]

المبحث الثاني : نظرة الاسلام للوسوسة وعلاجها وفقا لأدلة التشريع

المطلب الاول : نظرة الاسلام للوسوسة :

إن الاسلام بنظرته الشمولية قد أسس عددا من القواعد والاصول التي يستفاد منها في جميع مناحي الحياة . ومن أهم المسائل التي أهتم بها الاسلام مسألة النفس وما يعتريها من هواجس طارئة قد تؤثر على نقاءها وفعاليتها في ما أمرها الله تعالى به من تروك وواجبات ، لذا فأن حركة النفس نحو الفعل قُسمت إلى مراتب تتمثل بما يلي:

المرتبة الأولى- الهاجس : وهو ما يلقى في النفس بتاثيرات ومقدمات تابعة الى عوامل نفسية او مجتمعية ، وهو أضعف المراتب ولا يؤاخذ به من الناحية الشرعية ؛ لأنه ليس من فعل الإنسان وإنما هو شيء طرأ عليه .[١٥]

المرتبة الثانية – الخواطر: وهو ما يحدث في النفس مما يخطر عليها دون ان يستقر .

المرتبة الثالثة - حديث النفس : وهي ما يقع في النفس من التردد هل يفعل أو لا من دون أن يطمئن إليه ويستقر عنده .

المرتبة الرابعة - العزم وهو قوة ذلك القصد، والجزم به، وعَقْد القلب أي أن يميل الإنسان إلى الفعل ويصمم عليه. (١٦)

وقد يقال إن النفس الإنسانية تجري فيها الخواطر والوساوس والشهوات، وحركة الأمر والنهي، واللوم على الذنب أو التقصير، وهي التي تنتهي حركتها وتستقر عند معرفة الله تعالى والطمأنينة، ويمكن أن تتصف بالحسن والخير، والشر والقبح والسوء ، أن طبيعة وساوس النفس التي قد تمتلأ بهواجس سلبية تدعو الإنسان إلى الطغيان، وإيثار الحياة الدنيا ، وتكون بالنتيجة حالة من وسوسة الأنا وحب الذات الى درجة الافراط. (١٧)

وورد ذكر النفس في القرآن الكريم عشرات المرات، ولها عدة معان، فهي تأتي بمعنى: الروح، وبمعنى: ذات الإنسان الشاملة للروح والبدن، وغيرها من المعاني ، وقد عبر القران الكريم عن الوسوسة بان مصدرها بث الشيطان في النفس الانسانية فقال عزو جل : (مِنْ شَرِّ الْوَسْواسِ الْخَنَّاسِ)(١٨) فالوسواس حديث النفس كالصوت الخفي فهو مصدر كالوسوسة وأن المراد به المعنى الوصفي مبالغة، والخناس صيغة مبالغة من الخنوس بمعنى الاختفاء بعد الظهور قيل: سمي الشيطان خناسا لأنه يوسوس للإنسان فإذا ذكر الله تعالى رجع وتأخر ثم إذا غفل عاد إلى وسوسته(١٩) ، ثم بين الله تعالى بأن تلك الوسوسة مصدرها ومحلها في صدور الناس فيذكر الطباطبائي : (صفة للوسواس الخناس، والمراد بالصدور هي النفوس لان متعلق الوسوسة هو مبدء الادراك من الانسان وهو نفسه وإنما أخذت الصدور مكانا للوسواس لما أن الادراك ينسب بحسب شيوع الاستعمال إلى القلب والقلب في الصدر). (٢٠)

أن وساوس الشيطان تتمثل بتشكيك الإنسان بدينه، وتزيين قبيح أمره، وتحسين فعله السيّئ، وإفساده لطاعته، فهو يأتيه من جهة الملذات المحرمة ، ومن جهة المعاصي ليحسنها له، ويأمره بالفحشاء والمنكر، فيجعل النفس الانسانية حائرة في تجاذبات القوى المتنافرة في ساحتها بين الخير المتأصل والشر الطاريء من خلال تلك الوساوس المتصاعدة بتصاعد الحالة التي يمر بها .

لقد فرق الاسلام بين الوساوس التي تحدث في النفس الانسانية وبين وسوسة الشيطان حيث ذكر جملة من الباحثين الاسلاميين بان هناك فرق بين الخواطر النفسانية والوساوس الشيطانية وأن الخاطر ما يعرض في القلب من الأفكار فإن كان مذموما داعيا إلى الشر سمي (وسوسة)، وإن كان محمودا داعيا إلى الخير سمي (إلهاما).(٢١)

ثم يذكر النراقي توضيحا فيقول : (إن مثل القلب بالنسبة إلى ما يرد عليه من الخواطر مثل هدف تتوارد عليه السهام من الجوانب، أو حوض تنصب إليه مياه مختلفة من الجداول، أو قبة ذات أبواب يدخل منها أشخاص متخالفة، أو مرآة منصوبة تجتاز إليها صور متباينة، فكما أن هذه الأمور لا تنفك عن تلك السوانح، فكذا القلب لا ينفك عن واردات الخواطر، فلا تزال هذه اللطيفة الإلهية مضمار لتطاردها

ومعركة لجولانها وتزاحمها، إلى أن يقطع ربطها عن البدن ولذاته، ويتخلص عن لدغ عقارب الطبع وحياته)[٢٢] . إن الخواطر عادة ما تكون أمرا حادثا فلا بد لها من أسباب ، فإن كان سببها من نفثات الشيطان فهو الوسوسة، وما يستعد به القلب لقبول الوسوسة يسمى إغواءا وخذلانا .

إن من الطبيعي بحسب نفس الانسان أن تعتريه الوسوسة ، الا انه متى ما تكررت الوساوس والأفعال القهرية بكثرة، وظهر القلق والتوتر عند مقاومتها، وأثّرت في حياة الشخص الاجتماعية أو علاقاته مع الآخرين، وأصبحت تعيقه عن العمل تماماً، وأثرت على كفاءته، عندها توصف حالته بأنها مرضية[٢٣] ، لأن أحاديث النفس ووسواسها أمر طبيعي يحدث في كل إنسان، ولكن الوسواس الذي يمنع الإنسان عن التفكير في ما سواه، ويشغله عنْ أكثر أعماله، أو عن قضاءِ أوطاره، فهو من الأعراض النفسية التي لا بدّ من علاجها .

المطلب الثاني : الوسوسة وفقا لأدلة التشريع :

إن الله تعالى أراد لدينه الحنيف أن يكون دينًا عامًّا لكل الخَلْق، وأن يكون خالدًا، تَحكُم شريعتُه الأفراد والمجتمعات الإنسانية، وأن يكون صالحًا ومُصلِحًا لكل زمان ومكان؛ ولهذا كان حريًّا بأن يحمل في مضامينه وخصائصه مؤهِّلاتِ خلوده، وصلاحيةَ شريعته لكل عصر ومصرٍ ، ومن ابرز واهم تلك الخصائص أن شريعة الإسلام تجمع بين الثبات والمرونة، وهذه الخصيصة واحدة من مظاهر الإعجاز التشريعي الذي لا يمكن أن يتوافر إلا للشريعة الإسلامية؛ لأنها ربانية، مُوحًى بها من عند الله الذي خلَق الخَلْق وهو حكيم خبير، محيط عليم بفِطَرهم وطباعهم وما يلائمها.[٢٤]

إن مصادر التشريع الاسلامي والتي يعتمد عليها في مجال فهم الشريعة واستنباط الاحكام تتمثل بعنصرين أساسيين هما القران والسنة الشريفة ، ولذا سنبحث في هذين المصدرين عن مفهوم الوسوسة ومآلاتها الشرعية ثم عن علاجا ناجعا لهذا المرض .

أولا – القران الكريم :

ورد في القران الكريم وفقا لسياق الآيات مادة الوسوسة في خمس آيات، في ضمن سور أربع هي: الأعراف، طه، ق، الناس وسنتناول هذه المحال القرانية بشيء من التدقيق والايجاز :

الآية الأولى:

جاءت في سورة الأعراف قولهُ تعالى : (فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ).[٢٥]

هذه الآية وردت بعد عدّة آيات تحدّثت عن خلق الله تعالى لآدم عليه السلام وأمره للملائكة بالسجود له، وعصيان إبليس لذلك الأمر، وما ترتب على ذلك العصيان من طرده من الجنة ، في هذه الأثناء صدر أوّل تكليف و أمر و نهي إلى آدم و حواء من جانب الله تعالى، ثم إنّ الشيطان الذي طرد من رحمة الله تعالى بسبب إحجامه عن السجود لآدم، و كان قد صمّم على أن ينتقم لنفسه من آدم و بنيه ما أمكن، و يسعى في إضلالهم ما استطاع، و كان يعلم جيدا أنّ الأكل من الشجرة الممنوعة تعرّض آدم للإخراج من الجنّة، عمد

إلى الوسوسة لآدم و زوجته، و بغية الوصول إلى هذا الهدف نشر شباكا متنوعة على طريقهما ، فكان سلاحهُ الاوحد هو الوسوسة عن طريق حب البقاء في تلك الرحمة الالهية المتمثلة بالجنة ورغبة البقاء فيها. [٢٦]

الآية الثانية:

قال عزّ مِن قائل: (فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آَدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى)[٢٧] ، يقول العلامة الطباطبائي : (الشيطان هو الشرير لقب به إبليس لشرارته، والمراد بشجرة الخلد الشجرة المنهية والبلى صيرورة الشئ خلقا خلاف الجديد ،والمراد بشجرة الخلد شجرة يعطي أكلها خلود الحياة والمراد بملك لا يبلى سلطنة لا تتأثر عن مرور الدهور واصطكاك المزاحمات والموانع فيؤل المعنى إلى هل أدلك على شجرة ترزق بأكل ثمرتها حياة خالدة وملكا دائما). [٢٨]

الآية الثالثة:

قوله تعالى : (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ)[٢٩] في هذه الاية يبين الله تعالى اساس خلق الانسان وان من طبيعة تلك النفس الانسانية هي تلك الهواجس المعبر عنها بالوسوسة وما يحدث به قلبه وما يخفي ويكنّ في نفسه ولا يظهره لأحد من المخلوقين ، الا انه تعالى يعلم كل خلجات النفس لأنه اقرب من عروقه العميقة. [٣٠]

الآية الرابعة والخامسة :

قوله تعالى : (مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ)[٣١] هذه الايات المباركة قد اشتملت على التعوّذ من الأضرار التي تعرض للنفوس البشرية وتخصّها، و المستعاذ به وهو الله سبحانه وتعالى قد وصف نفسه بثلاث صفات هي الرب والملك والإله، والمستعاذ منه آفة واحدة هي الوسوسة، وفيه إشارة إلى عظم الآفة المستعاذ منها ، ولذا بين تعالى ان اصل تلك الوسوسة ومسببها الاساس هو ذلك الصوت الخفي الذي يستقر بصدره و يؤدي الى هلاك الانسان وتعكير حياته في جميع مناحيها .

من خلال الوقوف على هذه التفاسير الموجزة للآيات الكريمة يمكننا أن نخلص إلى ما يأتي:

أولا – بينت كلمات الآيات القرآنية إلى حقيقة واحدة بأن الوساوس مصدرها إما من الشيطان، وإما من النفس الإنسانية وفي كلا الحالتين لابد من التعرف على ماهيتها للتعرف على أحكامها الواجبة الاتباع حينئذ .

ثانيا – عند التأمل في مدلولات الآيات الكريمة نجد أنها أوردت وساوس الشيطان مرتين في سورتي الأعراف وطه، وذلك في قصة إخراج آدم عليه السلام من الجنة، وذكرت وساوس النفس مرة في سورة ق، ثم جُمِع بين الوسوستَيْن في سورة الناس، ولذا يمكن القول خلال التكرار لذكر وسوسة الشيطان أن المراد والتأكيد على التنبيه لعظيم خطر وساوس الشيطان وما تؤول اليه من أفعال قصدية للإنسان قد تؤدي به الى الهلاك .

ثالثا - مع أن الله تبارك تعالى قد حذر آدم عليه السلام من الشيطان، وبيّن له عداوته له إلا أنهُ أقدم على الأكل من الشجرة ، يدل على أن إبليس إنما كان يحرضهما على الأكل من شخص الشجرة المنهية تطميعاً في الخلود والملك الذي حجب عنه بالنهي عن الاكل وفيها دلالة واضحة على ان تلك الوسوسة من الشيطان كانت حائلا دون بلوغ درجات الاولى المكانة التي ارادها الله تعالى لادم عليه السلام . [٣٢]

رابعا – إن الوسوسة تعتبر من آفة الدين لأنها تهدد روح الانسان واستقرارها ، وليس هناك عظم من آفة تصيب الدين، وأن طريق دفع الوساوس هو أن يلتجئ الإنسان إلى الله سبحانه وتعالى الذي بيده مقاليد كل شيء خالق النفس والشيطان طالباً النجاة.

ثانيا – السنة :

من المصادر المهمة في التشريع الاسلامي هي السنة ، والتي يقصد بها فعل المعصوم وقوله وتقريره ، وبذلك يدخل النبي وأهل البيت عليهم السلام في مصطلح السنة بخلاف من يقول انها خاصة بفعل النبي وقوله وتقريره[٣٣] . ولذا سنتعرض الى جملة من الاحاديث التي تناولت الوسوسة وبحسب التبويب الوارد فيها :

١- أحاديث تتعلق بالوساوس المرتبطة بالذات الالهية :

الاول - روى العلامة المجلسي أنه : سئل النبي (صلى الله عليه وآله) عن الوسوسة، فقال: تلك محض الايمان، وفي رواية أخرى: يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا وكذا؟ حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته. [٣٤]

الثاني - عن محمد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله هلكت! فقال له: أتاك الخبيث فقال لك: من خلقك؟ فقلت: الله، فقال لك: الله من خلقه؟ فقال: إي والذي بعثك بالحق لكان كذا، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ذاك والله محض الايمان. [٣٥]

الثالث - عن أحمد بن محمد بن يحيى العطار، عن سعد بن عبد الله، عن يعقوب بن يزيد، عن حماد بن عيسى، عن حريز بن عبد الله، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: رفع عن أمتي تسعة: الخطاء، والنسيان، وما اكرهوا عليه، وما لا يعلمون، ولا يطيقون، وما اضطروا إليه، والحسد، والطيرة والتفكر في الوسوسة في الخلق ما لم ينطق بشفة. [٣٦]

الرابع – ورد عن الإمام الباقر (عليه السلام) - وقد كتب إلى رجل يشكو إليه لمما يخطر على باله -: إن الله عز وجل إن شاء ثبتك فلا يجعل لإبليس عليك طريقا، قد شكى قوم إلى النبي (صلى الله عليه وآله) لمما يعرض لهم لأن تهوي بهم الريح أو يقطعوا أحب إليهم من أن يتكلموا به، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): أتجدون ذلك؟ قالوا: نعم، فقال: والذي نفسي بيده إن ذلك لصريح الإيمان، فإذا وجدتموه فقولوا: آمنا بالله ورسوله ولا حول ولا قوة إلا بالله. [٣٧]

ومن الملاحظ من خلال تلك الروايات أن الوسوسة التي يوردها الشيطان عبارة عن التشكيك في الخلق والخالق ، وفيه دلالة واضحة من قبل النبي (صلى الله عليه واله) بعدم الاكتراث لها واهمالها

والاعراض عنها يكون اساس في علاجها، وهو صريح الإيمان؛ فإن استعظام هذا وشدة الخوف منه ومن النطق به فضلاً عن اعتقاده إنما يكون لمن استكمل الإيمان استكمالاً محققاً، وانتفت عنه الريبة والشكوك لهذا عبر عنها بانها محض الايمان .

٢- أحاديث تتعلق بوسوسة العبادة :

الاول - الإمام الصادق (عليه السلام) - لما ذكر عنده رجل مبتلى بالوضوء والصلاة، وادعي أنه رجل عاقل : وأي عقل له وهو يطيع الشيطان؟! فقلت له: وكيف يطيع الشيطان؟ فقال: سله هذا الذي يأتيه من أي شئ هو؟ فإنه يقول لك: من عمل الشيطان [٣٨]

الثاني - عنه (عليه السلام) - لما سئل عن كثرة شك الرجل في عدد الركعات حتى لا يدري كم صلى ولا ما بقي عليه -: يعيد، قلنا له: فإنه يكثر عليه ذلك كلما عاد شك؟ قال: يمضي في شكه ، ثم قال: لا تعودوا الخبيث من أنفسكم بنقض الصلاة فتطمعوه، فإن الشيطان خبيث يعتاد لما عود، فليمض أحدكم في الوهم، ولا يكثرن نقض الصلاة، فإنه إذا فعل ذلك مرات لم يعد إليه الشك ، قال زرارة: ثم قال: إنما يريد الخبيث أن يطاع، فإذا عصي لم يعد إلى أحدكم. [٣٩]

الثالث - عن أبي بصير قال قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) : (انا نسافر فربما بلينا بالغدير من المطر يكون إلى جانب القرية فتكون فيه العذرة ويبول فيه الصبي ويتبول فيه الدواب وتروث فقال(عليه السلام): (ان عرض في قلبك منه شيء فقل هكذا يعني أفرج الماء بيدك ثم توضأ فإن الدين ليس بمضيّق. [٤٠]

الرابع - صحيحة زرارة عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: لا تعاد الصلاة إلا من خمس، الطهور، والوقت، والقبلة، والركوع، والسجود.[٤١]

ومن الملاحظ حول جميع تلك الاحاديث ان الامام عليهم السلام يحاول نفي الوسوسة بالعبادات او بمقدماتها كالوضوء لان نفيها باعتبارها أمر طارئ والأصل ، وهي تربية عملية لعلاج الوساوس الشيطانية او النفسية التي تحاول ان تغير مسار العباد من الطاعة الى تهلكة التردد والشرود النفسي بالوساوس

المبحث الثالث : القواعد الفقهية ومعالجة الوساوس عمليا :

القواعد الفقهية هي ما تتضمن احكام متناظرة للمسائل الجزئية المتشابهة، أوهي قضية كلية عامة يمكن ان يُعرف منها أحكام جزئيات موضوعها مهما تعددت تلك الموضوعات[٤٢] ، ويفهم من القواعد إجمالا بانها حكم كلي أو قانون عام يندرج تحته مجموعة من المسائل الشرعية المتشابهة تشابهاً يجعل الحكم الكلي يشبهها .[٤٣]

ويلاحظ على هذه التعريفات التقارب في المعنى ولذا فان القدر المتفق عليه يكون الشمولية في القواعد الفقهية والاتساع بما تتضمن من دلالة، وبما ينضوي تحتها من أحكام، وهي من هذه الزاوية تعدّ مصدراً وأساساً لأحكام فرعية تبتني عليها تفريعات كثيرة.

وقبل التطرق الى اهم تلك القواعد لابد من بيان الفرق بين كثير الشك الذي يصاب به بعض افراد المجتمع كحالة وبين الوسواسي ؛ لأن القاعدة الفقهية قد تناولت موضوعات متنوعة بحسب مفاداتها الشرعية حول الوظيفة العملية عند الشك ، وقد يقال ان الشك هو وسوسة وبالتالي إختلاف الحكم بينهما ، ولذا نلخص الحديث حول الفرق بما يأتي :

إن كثرة الشكوك في العبادات عموما حالة تعرض على كثيرمن الناس، وهي ليست منطقية وغير عقلية، مثلاً قد ينشغل الإنسان بأمر محزن حدث له، أو بعض بالابتلاءات الناتجة عن التجاذبات بين افراد المجتمع ، فتكون النتيجة أداء الصلاة مثلا بدون حضور قلب ، وقد ينسى عدد ركعات الصلاة، وفي بعض الأوقات يؤدي الوسواس الشيطاني إلى تشتت الفكر في الصلاة لان الشيطان يريد أن يفتر الإنسان عن العبادة، وبما أنه لا يستطيع أن يجعل العبد يترك العبادة، فإنه يسعى لكي يذهب منه روح العبادة، لذلك أشارت الكثير من الروايات على إنه لا يجب الاعتناء بالشك لكي يتركه الشيطان ولا يتعود على هذا.[٤٤]

أما الوسواسي من ناحية الوجود الخارجي له علامتان اساسيتان :

العلامة الاولى : لا يحصل له اليقين بسهولة وخصوصاً في الأشياء التي يحصل للناس اليقين بها بشكل طبيعي ، مثلاً: الناس بشكل طبيعي، يغتسلون ويتوضؤون ويحصل لهم اليقين بعد الانتهاء من عملهم ، اما هو فلا يحصل على ذلك اليقين .

العلامة الثانية : إن الوسواسي يدخل الشك في قلبه لأدنى شيء مثلاً إذا وصل الغبار إلى بدنه فيبني على نجاسة الأرض ونجاسة بدنه، ثم يتحول هذا الأمر إلى اليقين.[٤٥]

لذا فان الفرق واضح بين الشكاك والوسواسي من جهة كون حصول اليقين والاطمئنان للشاك في أمر معين خلافا للوسواسي الذي لا يمكن حصول الاطمئنان له بل تبقى حالة من الصراع النفسي والاذى الروحي

من أهم القواعد التي عالجت موضوع الشك او الوساوس في العبادات وفي غيرها من المعاملات التي يترتب عليها علاقات اجتماعية وتيسير امور أفراد المجتمع تلك التي تتعلق بحياة الانسان ومن أهما هي :

أولا – أصالة الطهارة :

وهي الحكم بطهارة كل شيء يشك في طهارته ،فمتى ما تحقق العلم بالنجاسة ارتفع الحكم بالطهارة ومتى لم يتحقق لم يرتفع وكان باقيا، وليس المقصود الحكم على الأشياء بالطهارة في مرحلة الواقع بل الحكم عليها بذلك في مرحلة الظاهر لان الشك في هذا الشيء بانه طاهرا أم نجسا ، أي ما دام لا يعلم بالطهارة والنجاسة واقعا .

دليل القاعدة :

الرواية الواردة المعروفة بموثقة عمار عن ابي عبدالله الصادق (عليه السلام) : (كلّ شيء نظيف حتى تعلم انّه قذر ، فاذا علمت فقد قذر ، وما لم تعلم فليس عليك)[٤٦] ، ويمكن إضافة صحيحة علي بن جعفر

: (سألته عن الفأرة والدجاجة والحمام وأشباهها تطأ العذرة ثم تطأ الثوب أيغسل؟ قال : ان كان استبان من أثره شيء فاغلسه وإلاّ فلا بأس). [٤٧]

ومن الملاحظ أن الحكم بعدم وجوب الغسل لذلك الثوب في حال عدم التبين والتأكد إلاّ لأنه تم الاستناد الى قاعدة الطهارة.

دلالة القاعدة :

يمكن الاستدلال بالقاعدة على طهارة الاشياء التي يمكن ان نشك بانها نجسة ولا يوجد ما يشير الى نجاستها ، فأن الجهل بحقيقتها الواقعية وبعدم وجود قذارة دالة على النجاسة يقتضي الحكم بالطهارة ولا مبرر للشك او الوسوسة من هذه الجهة ، يقول الايرواني:(ان مضمون القاعدة واضح ، وهو الحكم بطهارة كل شيء يشك في طهارته وتحتمل نجاسته بنحو الحكم الظاهري المغيى بالعلم بالنجاسة ، فمتى ما تحقق العلم بالنجاسة ارتفع الحكم بالطهارة ومتى لم يتحقق لم يرتفع وكان باقيا).[٤٨]

إذن ليس المقصود الحكم على الأشياء بالطهارة في نفس الواقع وحقيقته لأنه مجهول بل الحكم عليها بذلك في الظاهر ، أي ما دام لا يعلم بالطهارة والنجاسة واقعا ، ومتى ما علم اما بالطهارة واقعا أو بالنجاسة واقعا كان المدار على ذلك العلم دون قاعدة الطهارة.

ومن التطبيقات العملية على هذه القاعدة :

أنه قد يسأل بعض من يذهب الى البلاد الغربية التي الاعم الاغلب من سكانها لا يتورعون عن النجاسات كالخمر مثلا وهم بطبيعة الحال يصعدون في وسائل النقل فتكون عادة مقاعد السيارات أيّام الشتاء مبللة فهل يحكم بتنجسها؟

فتطبيقا لتلك القاعدة تكون النتيجة : لابد اننا نشك بان هذا المقعد نجس لانه مبلل وقد جلس عليه شخص ملابسه نجسه أم طاهر فلم يجلس عليه شخص بهذه الصفة ، فالحكم بطهارة ذلك المقعد تطبيقا لقاعدة كل شيء لك طاهر مالم تعلم وتتيقن بنجاسته .

قد يذهب الشخص الى المرافق لقضاء الحاجة ويجد الماء واقفا على الأرض فما حكم ذلك الماء؟ فيقال أن هذا الماء على تلك الارض يُشك في كونه نجس واقعا أو انه قد تنجس من النجاسة لأننا لم نرى أثر لتنجسه أو لانفعاله بالنجاسة فيحكم بطهارته . [٤٩]

ثانيا – قاعدة الفراغ والتجاوز :

وهي من القواعد التي عالجت مسألة وسوسة الشك في العبادة لاسيما في الصلاة بإهمال ذلك وعدم الاهتمام به لان ذلك من نفثات الشيطان الذي يريد أن يجعل الانسان في دوامة الشك الناتج من الوسوسة عادة .

توضيح القاعدة : إنّ الشكّ في صحة الصلاة للمصلّي له صورتان ، فتارة يشك المصلي بعد فراغه من صلاته وفي صحتها وانه هل أتمها بأركانها واجزائها أم لا ؟ وأخرى يشك وهو في أثناء صلاته في

الجزء السابق بعد الدخول في الجزء اللاحق كأن يشك في الركوع بعد ما سجد مثلا ، فإن شك في صحة صلاته بعد فراغه منها حكم بصحتها[٥٠] ، وهو ما يعبر عنه بالفراغ والتجاوز .

مدرك القاعدة :

إن التأسيس الشرعي لتلك القاعدة هو من خلال تتبع الروايات الواردة فيها ، مع ان الفقهاء قد اختلفوا من انها قاعدة واحدة أم قاعدتان ، الا ان جمع منهم كالأنصاري الذي ذكر (ان القاعدتين ترجعان الى التعبد بشيء واحد وهو التعبد بوجود العمل الصحيح، فمن شك في صحة العمل بعد الفراغ منه يكون شاكّا في وجود العمل الصحيح ، وقاعدة الفراغ تعبده بوجود العمل الصحيح ، ومن شك في الاتيان بالجزء السابق بعد دخوله في الجزء اللاحق يكون شاكا في الاتيان بالجزء الصحيح وقاعدة التجاوز تعبده بوجوده)[٥١]. وهي على اتجاهين :

الاول - ناظر الى الحكم بوجود الشيء المشكوك .

الثاني - ناظر الى الحكم بصحة الشيء المشكوك .

فمن النحو الأول : صحيحة زرارة : (قلت لأبي عبد الله عليه السلام : رجل شك في الاذان وقد دخل في الاقامة، قال : يمضي ، قلت : رجل شك في الاذان والاقامة وقد كبّر، قال : يمضي ، قلت : رجل شك في التكبير وقد قرأ، قال : يمضي ، قلت : رجل شك في القراءة وقد ركع، قال : يمضي ، قلت : شك في الركوع وقد سجد، قال : يمضي على صلاته ، ثم قال : يا زرارة اذا خرجت من شيء ثم دخلت في غيره فشكك ليس بشيء). [٥٢]

ورواية أخرى بنفس المضمون ما ورد في صحيحة اسماعيل بن جابر فقد روى عن أبي جعفر عليه السلام ما نصه : (ان شكّ في الركوع بعد ما سجد فليمض، وان شك في السجود بعد ما قام فليمض، كلّ شيء شك فيه مما قد جاوزه ودخل في غيره فليمض عليه). [٥٣]

ومن النحو الثاني :

صحيحة محمد بن مسلم عن أبي جعفر (عليه السلام) ، قال : (كل ما شككت فيه بعد ما تفرغ من صلاتك فامض ولا تعد)[٥٤]، و موثقة محمد بن مسلم عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : (كل ما شككت فيه مما قد مضى فامضه كما هو). [٥٥]

ومن الملاحظ خلال النظر الى الروايات المتقدمة نجد أنها تحقق قاعدة عامة تشمل في دلالتها لعموم العبادات والمعاملات فان من دخل له الشك في عمل سابق بعد الدخول في جزءه اللاحق فيمضه ولا يعتني بذلك الشك وتلك الوسوسة ، الا انه قد ذكر الفقهاء شذوذ الوضوء من تلك القاعدة بخصوص مسألة التجاوز (فإن من شك في الجزء السابق من الوضوء بعد الانتقال الى الجزء اللاحق يلزمه العود اليه والاتيان به بشكل صحيح ، سواء كان شكّه في أصل الاتيان به أو في صحته ، أجل اذا فرغ من الوضوء وطرأ عليه الشك بعد ذلك فلا يعتدّ بشكّه)[٥٦] ، والدليل في استثناء الوضوء من قاعدة التجاوز صحيحة زرارة عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : (اذا كنت قاعدا على وضوئك فلم تدر أغسلت ذراعيك أم لا

فأعد عليهما وعلى جميع ما شككت فيه أنّك لم تغسله أو تمسحه مما سمى الله ما دمت في حال الوضوء ، فاذا قمت من الوضوء وفرغت منه وقد صرت الى حال أخرى في الصلاة أو في غيرها فشككت في بعض ما سمّى الله مما أوجب الله عليك فيه وضوءه لا شيء عليك فيه ...) [٥٧]

وبهذا يتضح مدى فعالية هذه القاعدة في وضع الحلول الشرعية للحالات النفسية التي يتملكها الوسواس القهري وكثرة الشك زعما منهم الحفاظ على تمامية العمل العبادي على الوجه الصحيح .

ثالثا – قاعدة أصالة الصحـــة

معنى القاعدة : ورد عن مصطفوي : أنها (حمل فعل المسلم على الصحة، وموضوعها الشك في صحة العمل)[٥٨] ، وقد يراد منها : (ما يقابل الفاسد، فهي بمعنى ترتيب الآثار الخارجية العملية للعمل الصحيح على عمل الغير، بمعنى أن يكون الفعل الصادر من الغير موضوعاً لأثر عملي جوارحي بالنسبة للآخرين). [٥٩]

إن هذه القاعدة تهدف الى التعامل مع الفعل العملي الذي يصدر من قبل الآخرين معاملة الفعل الصحيح ، فاذا أخبر شخص ما أنه قد باع داره ، أو عقدت على امرأة ، أو طهّرت ثوبي يصدّق اخباره ويحمل على كون فعله صحيحا ، ولا يشكك في صحة بيع داره ، أو عقده على المرأة ، أو تطهيره للثوب، واذا أراد شخص أن يشكك ويقول : لعلّه لم يعصر الثوب جيدا ، أو لعله لم يجر العقد بالماضوية أو ... حمل ذلك منه على الوسواس الذي يحاول تشويه الحقيقة وإدخال صاحبها في التيه النفسي .

مدرك القاعدة :

يمكن ان تُذكر عدة موارد كمدرك للقاعدة وهي :

١ - القران الكريم : في قوله تعالى : (واجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم)[٦٠] ، وتقريب الاستدلال بها : أن هذه الآية الكريمة قد أفادت وجوب الاجتناب عن سوء الظن الذي بالعادة نتيجته حمل فعل المسلم على الصحة وعدم الشك به ، الا انه يمكن ان يقال : إن دلالة هذه الآية غير تامة المراد لان حسن الظن بفعل الاخرين لا يساوق صحته[٦١]

٢ – السنة المطهرة : وهي مجموعة من الروايات الواردة في مختلف الأبواب الفقهية وفي موردنا ومنها :

موثقة اليماني عن أبي عبد الله عليه السلام: (إذا اتهم المؤمن أخاه انماث الايمان من قلبه كما ينماث الملح في الماء)[٦٢] ، فيها دلالة على أن اتهام المؤمن يُذهب الايمان عن القلب، فبالنتيجة لابد من حمل فعل المسلم على الصحة، ويمكن ان يقال : أن عدم إتهام المؤمن لفعل قد صدر منه أعم من حمل فعله على الصحة فلا يمكن الاعتماد عليها .

٣- سيرة المتشرعة : ويقصد بها الطريقة العملية التي سار بها أصحاب الائمة عليهم السلام بحيث أصبحت مدار للتصرف الشرعي عندهم وهي السيرة المعاصرة والقريبة من عصر المعصومين عليهم السلام للمتشرعة. (٦٣)

لذا فانه قد استقرت تلك السيرة إجماعا على ما دلت عليه القاعدة من (حمل فعل المسلم على الصحة)، وبالتالي إمضاءها من الناحية العملية ، ومجالها يكون واسعا غير مختص بمجرد الشك الناتج من الوسوسة في مجال المعاملات بل يعم العبادات ايضا ، فإن السيرة القطعية من جميع المسلمين المتدينين على ترتيب آثار الصحة على أعمال الناس من جميع مجالات حياتهم العملية ، فمثلا لا يقدم أحد على تزويج امرأة لاحتمال كون العقد الواقع بينها وبين زوجها باطلا، وهذه السيرة متصلة بزمان المعصوم عليه السلام ولم يردع عنها، وهذا الدليل هو الدليل التام الوافي في اثبات تلك القاعدة . (٦٤)

فدور هذه القاعدة يعد فعالا لمعالجة مسألة الوسواس الذي يشكك في جميع ما يتعامل معه الانسان فيقطع ذلك الصوت بإدلة عقلية تارة وعملية شرعية أخرى ومنه يتضح دور الشريعة الفعال للملتزمين بها في وضع الحد لهذه الظاهرة النفسية .

رابعا – قاعدة لا شك لكثير الشك :

معنى القاعدة : ويقصد بها عدم الاهتمام بالشك الكثير وعدم ترتب الأثر له بالنسبة إلى الصلاة وركعاتها ، والمائز بين الشك البسيط الذي يصيب الانسان في بعض الموارد والشك الكثير كونه خارجا عن الحد الطبيعي الذي يصيب الانسان والمتعارف. (٦٥)

مدرك القاعدة :

١- الاحاديث والروايات الواردة :

وردت عدة روايات في باب الخلل الواقع في الصلاة تشير الى مدلول هذه القاعدة منها (صحيحة زرارة وأبي بصير قالا قلنا له: الرجل يشك كثيرا في صلاته حتى لا يدري كم صلى، ولا ما بقي عليه قال: (يعيد)، قلنا: فإنه يكثر عليه ذلك كلما أعاد شك. قال: يمضي في شكه)(٦٦). دلت على أن المكلف إذا أصبح كثير الشك لا يعتني بشكه، ولا يترتب الأثر على الشك الذي كثر في الصلاة.

وكذلك الرواية الواردة في نفس الباب وهي : (صحيحة محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: (إذا كثر عليك السهو فامض على صلاتك فإنه يوشك ان يدعك إنما هو من الشيطان). (٦٧)

وتقريب الاستدلال بتلك الروايتين : إن الشك الذي يحصل للانسان في صلاته إذا كثر وخرج عن الشك الاعتيادي فان تكليفه يحتم عليه أن يتم الصلاة ولا يعير إهتمام لتلك الوساوس النفسانية ، ويمكن أن يقال بتوسعة القاعدة الواردة لكل مورد من موارد العبادات بل حتى المعاملات مادام ذلك الشك خارج عن المتعارف وتابع الى وسوسة النفس والشيطان .

الخاتمة والنتائج :

مما تقدم في البحث يتضح جليا أن الشريعة قد أخذت بعين الاعتبار ما يمر به الانسان من وساوس قهرية و خلجات نفسية مضطربة تزداد تارة وتضعف أخرى مما تعيق حركته الدينية والاجتماعية من خلال مجموعة الادلة الشرعية ووضع الحلول الناجعة لمواجهتها كونها تسبب تأخر الانسان عن حركة التقدم في الكثير من المجالات .

لذا يمكن الخروج بعدد من النتائج تُصاغ على النقاط الاتية :

اولا – يعد الوسواس القهري حالة مرضية كسائر الأمراض النفسية بنسبة تزداد وتضعف تبعا للأسباب المهيئة التي تنمو مع الانسان منذ بواكير حياته حيث يصعب التغلب عليها في بعض الحالات .

ثانيا – هناك عدة نظريات بشأن العوامل المسببة لاضطراب الوسواس الا انها متفاوتة ومختلفة ، فتارة تكون الاسباب عوامل بيولوجية نتيجة لتغير كيميائي يحصل في جسم الشخص المصاب، أو في أداء دماغه ، وتارة أخرى غير ذلك من العوامل والاسباب والتي أهما البيئة .

ثالثا - بحسب نفس الانسان فانه من الطبيعي أن تعتريه الوسوسة ، الا انه متى ما تكررت الوساوس والأفعال القهرية بكثرة، وظهر القلق والتوتر عند مقاومتها، وأثّرت في حياة الشخص الاجتماعية أو علاقاته مع الآخرين، وأصبحت تعيقه عن العمل تماماً، وأثرت على كفاءته، عندها توصف حالته بأنها مرضية .

رابعا – لقد وظفت الشريعة مجموعة من الادلة لقطع الطريق امام تلك الوساوس النفسية من ناحية الكتاب العزيز وتفسير بعض الايات ومن حيث الروايات المؤسسة لبعض القواعد الفقهية التي يعتمد عليها الشخص لعلاج وقطع الوساوس .

هوامش البحث

[١] ابن فارس ، أحمد ، معجم مقاييس اللغة ، نشر : دار احياء التراث العربي ، ط ٢ (٢٠٠٨م) بيروت – لبنان ، ٦ / ٦٧ .
[٢] ينظر : الجوهري ، إسماعيل ، الصحاح ، نشر : دار العلم للملايين ، ط ٤ (١٤٠٧هـ) بيروت – لبنان ، ٣/ ٩٨٨ .
[٣] ابن منظور ، لسان العرب ، نشر : دار المعارف ، ط ٢ (١٩٨٥م) الاسكندرية – مصر ، ٦ / ٢٥٥
[٤] يُنظر : عكاشة ، أحمد ، علم النفس الفسيولوجي ، نشر : مكتبة الانجلو، ط١١ (٢٠١٤م) القاهرة – مصر ، ٣١٧ .
[٥] المصدر نفسه .
[٦] ينظر : طارق عكاشة ، الطب النفسي المعاصر ، نشر : مكتبة الانجلو ، ط ١٦ (٢٠١٦م) القاهرة – مصر ، ١٦٩
[٧] ينظر : الكعكي ، فاطمة ، استشارات نفسية ، نشر : جامعة عين شمس ، ط ١ (٢٠٠٥م) القاهره – مصر ، ٣٧
[٨] ينظر : كابلن وسادوك ، موجز للطب النفسي السريري ، نشر : ليبينكوت ويليامز ، ط ١ (٢٠٠٠م) ، ٥٦ .
[٩] ينظر : البستاني ، محمود ، دراسات في علم النفس الاسلامي ، نشر : دار البلاغة ، ط١ (١٩٨٨م) بيروت – لبنان ، ١ / ٥٤ .

[١٠] ينظر : محمد شريف ، الوسواس القهري دليل عملي ،نشر : دار العقيدة ، ط ٥ (٢٠٠٨م) الاسكندرية – القاهرة ، ٣٥ – ٦٠.

[١١] لي باير ، الوسواس القهري علاجه السلوكي والدوائي ، نشر : منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، ط١ (٢٠١٠) دمشق – سوريا ، ٤٧ .

[١٢] ينظر : تهاني عبد الهادي ، اضطراب الوسواس القهري وعلاجه المعرفي السلوكي ، نشر : مؤسسة العلياء للنشر والتوزيع ، ط ١ (٢٠١٢م) بيروت – لبنان ، ٦٧ – ٧٠ .

[١٣] السيد خشبة ، فاطمة ، الوسواس القهرى - اضطرابات النوم - العدوان - الضغوط النفسية `رؤية نفسية وعلاجية` ، نشر : دار الكتاب الحديث السلسلة: الأمراض النفسية والاجتماعية ، ط١ (٢٠١٨م) القاهرة – مصر ، ١٢٢ .

[١٤] ينظر : محمد شريف ، الوسواس القهري دليل عملي ، ١٥٦

[١٥] ينظر: السيوطي، جلال الدين ، الأشباه والنظائر، نشر : دار الكتب العلمية ، ط١ (١٤٠٣هـ) ، بيروت – لبنان، ٣٣ – ٣٤.

[١٦] ينظر : المصدر نفسـه

[١٧] ينظر : التنشئة ، جواد ، عالم الانفس ، نشر : مطبعة بابل الفنية ، ط١ (٢٠٠٦م) فلسطين ، ٣٤ - ٤٠

[١٨] الناس : ٥

[١٩] ينظر : الطباطبائي ، محمدحسين ، تفسير الميزان ، نشر : جماعة المدرسين ، ط٣(١٣٣٩هـ) قم – ايران ، ٢٠ /٣٩٧ .

[٢٠] المصدر نفسـه ، ٢٠ / ٣٩٧

[٢١] النراقي ، محمد مهدي ، جامع السعادات ، ، نشر : مؤسسة إسماعيليان ، ط٧ (١٤٢٨هـ) قم – ايران ، ١ / ١٤٣

[٢٢] المصدر نفسـه .

[٢٣] انظر موقع: http://ar.wikipedia.org/wiki ، وزهران، الصحة النفسية، ص ٤٢٧، وعيسوي، أمراض العصر، ص ١٥٩.

[٢٤] ينظر : د. أسماعيل علي ، عوامل مرونة الشريعة ، شبكة الالوكة الشرعية ، على الرباط الالكتروني : alukah.net .

[٢٥] الاعراف : ٢٠ .

[٢٦] الشيرازي ، ناصرمكارم ، تفسير الامثل في تفسير كتاب الله المنزل ، نشر : مدرسة الامام علي ، ط ١ (١٤٢٦هـ) قم – ايران ٤ / ٥٩١ .

[٢٧] طـه : ١٢٠

[٢٨] الطباطبائي ، محمد حسين ، تفسير الميزان ، ١٤ / ٢٢١

[٢٩] ق : ١٦ .

[٣٠] ينظر : الطبرسي ، الفضل ، مجمع البيان في تفسير القران ، نشر : مطبعة العرفان ، ط١ (١٤٣٢هـ) بيروت – لبنان ، ٩ / ٢٣٩ .

[٣١] الناس : ٤ - ٥

[٣٢] ينظر : الطباطبائي ، محمد حسين ، تفسير الميزان ، ١ / ١٤٣ .

[٣٣] الصدر ، محمد باقر ، دروس في علم الاصول – الحلقة الاولى ، نشر : دار احياء تراث اهل البيت ، ط ٢ (١٤٣٣هـ) بيروت – لبنان ١ / ١٢٢ .

[٣٤] ينظر : المجلسي ، محمد باقر ، بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، نشر : دار إحياء التراث العربي ، ط٥ (١٤٣٣هـ) بيروت – لبنان ، ٥٥ / ٣٢٥ .

[٣٥] المجلسي ، محمد باقر ، بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار،٥٥ / ٣٢٥

[٣٦] الصدوق ، محمد ، الخصال ، نشر : مؤسسة النشر الاسلامي ، ط ٥ (١٤٣٨هـ) قم – ايران ، ٢ / ٤٥

[٣٧] الكليني ، محمد ، الكافي ، ٢ / ٤٢٥ / ٤.

[٣٨] المصدر نفسـه : ١ / ١٢ / ١٠.

[٣٩] المصدر نفسـه ، ٣ / ٣٥٨ / ٢ .

[٤٠] الحر العاملي ، محمد ، وسائل الشيعة الى احكام الشريعة ، ١ / ١٦٣ .

[٤١] المصدر نفسه ، ٤ / ٧٧٠ باب ٢٩ من أبواب القراءة في الصلاة ح ٥.

[٤٢] ينظر : القمي ، ابو القاسم ، قوانين الأصول، نشر : دار المرتضى ، ط١ (١٤٣٨هـ) بيروت – لبنان ، ١/ ٥.

[٤٣] الفقه الإسلامي ومشروع القانون المدني الموحد، شفيق العاني، ص١٠٣، طبع لجنة البيان العربي، القاهرة، ١٩٦٥م.

[٤٤] ينظر : صنقور ، محمد ، مسائل وردود فقهية ، نشر : مركز الهدى للدراسات الاسلامية ، ط١ (١٤٣٨هـ) بيروت – لبنان ، ٩٧

[٤٥] ينظر : المصدر نفسـه ، ٩٩

[٤٦] العاملي ، وسائل الشيعة باب ٣٧ من أبواب النجاسات حديث ٤.
[٤٧] المصدر نفسـه
[٤٨] الايرواني ، محمد باقر ، دروس تمهيدية في القواعد الفقهية ، ٢ / ٤٣
[٤٩] ينظر : المصدر نفسـه .
[٥٠] ينظر : الايرواني ، محمد باقر ، دروس تمهيديه في القواعد الفقهية ، ١ / ٣٨ .
[٥١] الانصاري ، مرتضى ، رسائل فقهية ، نشر : مؤسسة تراث الشيخ الانصاري ، ط ١ (١٤٣٣هـ) ، قم – ايران، ٢١١
[٥٢] العاملي ، وسائل الشيعة : الباب ٢٣ من أبواب الخلل الواقع في الصلاة ح ١.
[٥٣] المصدر نفسـه .
[٥٤] العاملي ، وسائل الشيعة : الباب ٤٢ من أبواب الوضوء ح١.
[٥٥] المصدر نفسـه ، الباب ٢٧ من أبواب الخلل الواقع في الصلاة ح ٢.
[٥٦] الايرواني ، محمد باقر ، دروس تمهيدية في القواعد الفقهية ، ١ / ٥٠
[٥٧] العاملي ، وسائل الشيعة : الباب ٤٢ من أبواب الوضوء ح ١.
[٥٨] مصطفوي ، مئة قاعدة فقهية ، ١٤٩ .
[٥٩] مصباح الأصول، السيد الخوئي، ج٤٨ من الموسوعة، ص٣٨٩، وأشار له أيضاً في ج٣٩، ص٢٧٣- ٢٧٤.
[٦٠] الحجرات : ١٢ .
[٦١] ينظر : مصطفوي ، مئة قاعدة فقهية ، ١٥٠ .
[٦٢] أصول الكافي: ج ٢ ص ٢٦٩.
[٦٣] الصدر ، محمد باقر ، دروس في علم الاصول – الحلقة الاولى ، ٢٤٦
[٦٤] ينظـر : الايرواني ، محمد باقر ، دروس تمهيدية في القواعد الفقهية ،١ / ٧٩
[٦٥] ينظر : مصطفوي ، مئة قاعدة فقهية ،٢٤١ .
[٦٦] الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، ج ٥ ص ٣٢٩ باب ١٦ من أبواب الخلل الواقع في الصلاة، ح ٢ .
[٦٧] المصدر نفسه .

المصادر والمراجع

القران الكريم

١- ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، نشر : دار الفكر، ط٢ (٢٠٠٢م) بيروت – لبنان .

٢- ابن منظور ، لسان العرب ، نشر : دار المعارف ، ط١ (١٩٨٨م) القاهرة – مصر .

٣- الانصاري ، مرتضى ، رسائل فقهية ، نشر : مؤسسة تراث الشيخ الانصاري ، ط ١ (١٤٣٣هـ) ، قم – ايران .

٤- الايرواني ، محمد باقر ، دروس تمهيدية في القواعد الفقهية ، نشر: المركز العالمي للدّراسات الإسلامية ، مطبعة التوحيد ط٢ (١٤٢٢هـ) قم – ايران .

٥- البستاني ، محمود ، دراسات في علم النفس الاسلامي ، نشر : دار البلاغة ، ط١ (١٩٨٨م) بيروت – لبنان .

٦- التنشئة ، جواد ، عالم الانفس ، نشر : مطبعة بابل الفنية ، ط١ (٢٠٠٦م) فلسطين.

٧- تهاني عبد الهادي ، اضطراب الوسواس القهري وعلاجه المعرفي السلوكي ، نشر : مؤسسة العلياء للنشر والتوزيع ، ط ١ (٢٠١٢م) بيروت – لبنان .

٨- الجوهري ، إسماعيل ، الصحاح ، نشر : دار العلم للملايين ، ط ٤ (١٤٠٧هـ) بيروت – لبنان .

٩- الحر العاملي ، وسائل الشيعة الى احكام الشريعة ، نشر : مؤسسة النشر الاسلامي ، ط٣ (١٤٢٢هـ) قم – ايران .

١٠- الخوئي ، ابو القاسم ، مصباح الاصول ، نشر : مكتبة الداوري ، ط١ (١٤٣٢هـ) قم – ايران .

١١- اسماعيل علي ، عوامل مرونة الشريعة ، شبكة الالوكة الشرعية ، على الرباط الالكتروني : alukah.net .

١٢- زهران، الصحة النفسية، وعيسوي، أمراض العصر على الموقع الالكتروني: http://ar.wikipedia.org/wiki

١٣- السيد خشبة ، فاطمة ، الوسواس القهرى - اضطرابات النوم - العدوان - الضغوط النفسية `رؤية نفسية وعلاجية` ، نشر : دار الكتاب الحديث السلسلة: الأمراض النفسية والاجتماعية ، ط١، (٢٠١٨م) القاهرة – مصر .

١٤- السيوطي، جلال الدين ، الأشباه والنظائر، نشر : دار الكتب العلمية ، ط١ (١٤٠٣هـ) ، بيروت – لبنان .

١٥- شفيق العاني، الفقه الإسلامي ومشروع القانون المدني الموحد، طبع لجنة البيان العربي، القاهرة، ١٩٦٥م.

١٦- الشيرازي ، ناصر مكارم ، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل ، نشر : مدرسة الامام علي ، ط ١ (١٤٢٦هـ) قم – ايران .

١٧- الصدر ، محمد باقر ، دروس في علم الاصول – الحلقة الاولى ، نشر : دار احياء تراث اهل البيت ، ط ٢(١٤٣٣هـ) بيروت – لبنان ..

١٨- الصدوق ، محمد ، الخصال ، نشر : مؤسسة النشر الاسلامي ، ط ٥ (١٤٣٨هـ) قم – ايران

١٩- صنقور ، محمد ، مسائل وردود فقهية ، نشر : مركز الهدى للدراسات الاسلامية ، ط١ (١٤٣٠هـ) بيروت – لبنان .

٢٠- طارق عكاشة ، الطب النفسي المعاصر ، نشر : مكتبة الانجلو ، ط ١٦ (٢٠١٦م) القاهرة – مصر .

٢١- الطباطبائي ، محمدحسين ، تفسير الميزان ، نشر: جماعة المدرسين ، ط٣ (١٣٣٩هـ) قم – ايران .

٢٢- الطبرسي ، الفضل ، مجمع البيان في تفسير القران ، نشر : مطبعة العرفان ، ط١ (١٤٣٢هـ) بيروت – لبنان .

٢٣- عكاشة ، أحمد ، علم النفس الفسيولوجي ، مكتبة الانجلو، ط١١ (٢٠١٤مـ) القاهرة – مصر .

٢٤- القمي ، ابو القاسم ،قوانين الاصول ، نشر : دار المرتضى ، ط١ (١٤٣٨هـ) بيروت – لبنان

٢٥- كابلن وسادوك ، موجز للطب النفسي السريري ، نشر : ليبينكوت ويليامز ، ط ١ (٢٠٠٠م)

٢٦- الكعكي ، فاطمة ، استشارات نفسية ، جامعة عين شمس ، ط ١ (٢٠٠٥م) القاهره – مصر .

٢٧- لي باير ، الوسواس القهري علاجه السلوكي والدوائي ، نشر : منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، ط١ (٢٠١٠) دمشق – سوريا .

٢٨- المجلسي ، محمد باقر ، بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، نشر : دار إحياء التراث العربي ، ط٥ (١٤٣٣هـ) بيروت – لبنان . .

٢٩- محمد شريف ، الوسواس القهري دليل عملي ،نشر : دار العقيدة ، ط ٥ (٢٠٠٨م) الاسكندرية – القاهرة .

٣٠- مصطفوي ، محمد ، مئة قاعدة فقهية ، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، ط٣ (١٤١٧هـ) قم ، ايران .

٣١- النراقي ، محمد مهدي ، جامع السعادات ، مؤسسة إسماعيليان ، ط٧ (١٤٢٨هـ) قم – ايران .